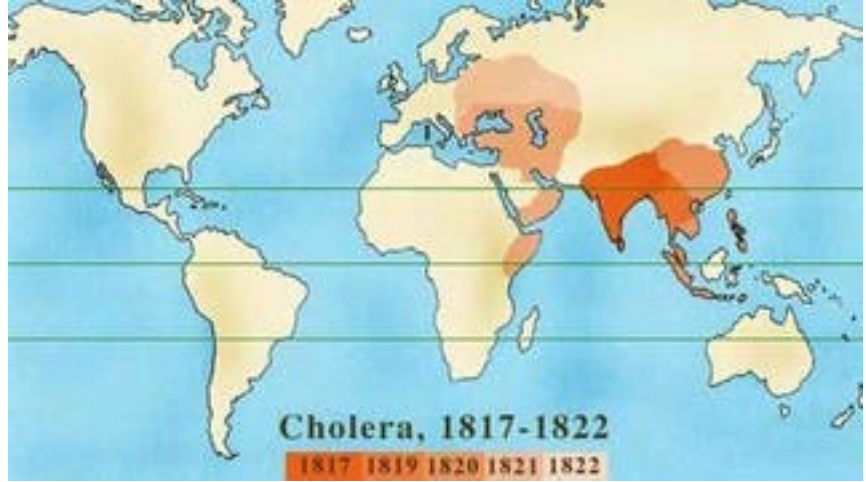


هكذا أنقذت الأمطار العالم من وباء قتل الملايين



منذ القديم، تحدث العديد من الأطباء عن أمراض تشابهت أعراضها لدرجة كبيرة مع الكوليرا. ففي نصوص ساسروتا سامهيتا التي تعود للقرن الخامس قبل الميلاد، قدم الطبيب الهندي ساسروتا وصفا لحالات حمل أصحابها أعراض الكوليرا. كما سجلت نفس هذه الملقب باب الطب، بالقرن الرابع قبل الميلاد ومواطنه أريتاوس (Hippocrates) الأعراض ظهورها بنصوص كل من الطبيب الإغريقي أبقراط بالقرن الأول ميلادي (Aretaeus).

كأول الذين تحدثوا بالتفصيل عن الكوليرا، حيث أكد ظهور المرض عام (Gaspar Correa) من جهة ثانية، يصنف المؤرخ البرتغالي غاسبار كوريا بشبه القارة الهندية عند مناطق الهند وبنغلادش حاليا. وقد أكد غاسبار كوريا على وفاة المصابين بالكوليرا حينها بعد (Ganges) 1543 بدلتا الغانج ساعات من ظهور الأعراض عليهم، مشددا على إسراع الأهالي بالتخلص من الجثث لتجنب انتشار المرض.

وعلى مر التاريخ، سجلت الكوليرا ظهورها مرات عديدة بالمناطق المتاخمة لنهر الغانج وعرفت ذروتها أثناء فعاليات دينية هندوسية، حيث أصيب الأشخاص هناك بالمرض ونقلوه معهم أينما حلوا متسببين في خسائر بشرية جسيمة. وخلال عام 1817، كان العالم على موعد مع واحدة بالهند بسبب الأرز الملوثة (Jessore) من أسوأ موجات الكوليرا، حيث سجل الوباء ظهوره حسب أغلب المؤرخين بمنطقة جيسور.

ووفق ما أكده عدد من علماء الأوبئة المعاصرين، انتشرت الكوليرا بشكل سريع بكامل أرجاء الهند بسبب هذه الفعاليات الدينية الهندوسية، بحلول سبتمبر وبلغ بومباي في عام 1818 (Calcutta) وغادر المرض دلتا الغانج خلال عام 1817 وتفشى نحو كلكتا.

في مارس 1820، غادرت الكوليرا الهند وانتقلت نحو تايلاند وامتدت نحو مناطق كبانكوك، التي فارق 30 ألفا من سكانها الحياة بسببها، ومانبلا، بإندونيسيا حاليا، أرقام وفيات مفرجة قاربت المائة ألف حالة. ومن إندونيسيا وتايلاند، وجد الوباء طريقه نحو (Java) كما سجلت جزيرة جاوا. كما عرفت سنة 1821 تفشي المرض نحو اليابان (Anhai) مناطق أخرى بشرق آسيا فبلغ الصين، وسجلت أولى الحالات بمدينة آنهاي.

وبسبب حركة التجارة وتنقل الجنود البريطانيين من مستعمراتهم بالهند، انتشرت الكوليرا بإيران وأفغانستان ونيبال وانتقلت عبر خليج عمان. وسجلت حالات عديدة بكل من بغداد ودمشق. إلى ذلك تحدثت مصادر عديدة عن بلوغ الوباء لعدد من المدن التركية ومناطق بجنوب روسيا.

لقب هذا الوباء الذي ظهر عام 1817 بموجة الكوليرا الأولى، أو الكوليرا الآسيوية الأولى، واختلفت المصادر في تقدير عدد ضحاياه. وبينما تحدث البعض عن عدد وفيات قارب الثمانية ملايين، رجحت مصادر معاصرة وفاة ما بين مليون ومليونتي شخص بسبب موجة الكوليرا التي استمرت لأكثر من 6 سنوات.

سنة 1824، عرفت موجة الكوليرا الأولى نهايتها بفضل شتاء 1823 - 1824 الذي تميز ببرودته ونزول كميات كبيرة من الأمطار، حيث ساهم ذلك في تنظيف مصادر المياه الملوثة وقتل البكتيريا المسببة للمرض.

إلى ذلك شهدت السنوات التالية ظهور موجات كوليرا أخرى امتدت بشكل سريع لتبلغ عمق الدول الأوروبية، خاصة بريطانيا التي فارق عشرات الآلاف من سكانها الحياة بسببها.